شؤون اجتماعية
العدد ٤١
ربيع ١٩٩٤م
السنة ١١

الاتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمان وبريطانيا ١٨٠٦ - ١٩٧١

تأليف : محمد علي راشد

عرض : عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

يقع الكتاب في ٢٧٢ صفحة، ويتضمن تمهيداً وتقديماً ومقدمة وثمانية فصول، وقائمة بالمصادر، ومجموعة ملاحق باللغة العربية واللغة الانجليزية، وهي عبارة عن نصوص بعض الوثائق المذكورة.

وقد تناول الباحث في الفصل الأول صراع القوى الأجنبية في الخليج، فحلل الاستعمار البرتغالي وأهدافه الدينية والإقتصادية، وأوضح الفظائع والسلب البرتغالي في كل من هرمز ومسقط وقلهات والبحرين، كما درس موقف الدولة العثمانية من هذا الاستعمار، وأوضح العوامل التي أدت إلى ضعف النفوذ البرتغالي، من فقد البرتغال لاستقلالها سنة ١٥٨٠م، ثم بروز القوة الفارسية، وقيام دولة اليعاربة في عمان، وظهور القوى الأوربية الأخري، هولندا وانجلترا التي عملت متكاتفة على طرد البرتغاليين من المنطقة، ثم درس التنافس الإنجليزي - الفرنسي، وظهور القوة العربية

* رئيس قسم التاريخ والآثار - جامعة الإمارات.

المحلية، القواسم، الذين برزوا على مسرح الأحداث في الخليج وأصبح السلام البحري بأيديهم منذ عام ١٧٤٧م، وكانت أعمالهم البحرية ترعب السفن الأوربية، مما جعل الأوربيين يطلقون عليهم لقب «القراصنة»، وكان البريطانيون يدركون الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية للخليج، لذا فانهم منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأوا يدركون أنه لابد من اتخاذ أساليب عدة للقضاء على القواسم، كقوة محلية، وانتزاع السلام البحري من أيديهم، فأرسلت حكومة الهند البريطانية أول حملة لها ضد القواسم في عام ١٨٠٥م، وكانت الدولة السعودية الأولى آنذاك تساند القواسم، الذين اعتنقوا مبادىء الدعوة السلفية، التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وساندها آل سعود، حيث أصبح القواسم يطلقون على أعمالهم اسم الجهاد، ولذا فإن حملة ١٨٠٥م انتهت بعقد اتفاقية متكافئة في ١٨٠٦/٢/٦م، حيث عاملت بريطانيا القواسم وكأنهم قوة متكافئة لها، ولم تستطع أن تفرض أي شروط على هذه القوة المحلية، بل إن شيخ القواسم سلطان بن صقر لقب في المعاهدة بلقب شيخ المشايخ، دليلاً على المكانة الرفيعة للشيخ سلطان. وفي عام ١٨٠٨م نقض القواسم هذه الاتفاقية، مما أدى ببريطانيا بارسال حملة ثانية وصلت إلى رأس الخيمة صباح ١٠ نوفمبر ١٨٠٩م، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل، وبعدها بفترة قليلة بدأت قوات محمد على أعمالها ضد الدولة السعودية، ونصح عبد الله بن سعود، حاكم الدولة حسن بن رحمة القاسمي، بعدم إثارة عداوة بريطانيا، وفي عام ١٨١٤م، عقدت بريطانيا اتفاقية أخرى في اكتوبر عام ١٨١٤م، أعطت للسفن البريطانية امتيازات مهمة، ولكن هذه الامتيازات لم تستمر أكثر من عامين، وفي عام ١٨١٦م، جاءت حملة أخرى وتقدمت إلى شيخ القواسم بثلاثة مطالب، ولكنه لم يجب هذه المطالب، فأطلقت السفن البريطانية مدافعها على السفن القاسمية، ولكنها لم تصب هدفاً، وانتظرت بريطانيا حتى ترى ما يتمخض عنه الصراع الدائر في شبه الجزيرة العربية بين عبد الله بن سعود وقوات محمد علي، وذلك حتى تحدد موقفها على ضوء نتيجة هذا الصراع.

ثم تعرض الباحث في الفصل الرابع لاتفاقية السلام العامة، حيث إن بريطانيا حينما وصلت إليها أنباء سقوط الدولة السعودية الأولى سارعت بارسال حملة سنة ١٨١٩م، وضربت مواقع القواسم بعنف، ثم قام وليم جرانت كير باقناع الشيوخ بالتوقيع على اتفاقيات منفردة، ثم وقعوا بعد ذلك معاهدة السلام العامة في يناير ١٨٢٠م، وحلل الباحث آثار هذه المعاهدة على الكيان السياسي للمشيخات، وأوضح كيف أن الإشراف على السلام البحري في الخليج العربي انتقل من القواسم إلى بريطانيا.

ثم درس المعاهدات البحرية التي تمت في الفترة من ١٨٣٥ - ١٨٧٩م وأبدى ملاحظات دقيقة على كل معاهدة، وناقش الظروف العامة التي كانت تحيط بأي من هذه المعاهدات، وكان دقيقاً في تحليله واستنتاجاته التي توصل اليها من هذه المعاهدات.

أما المعاهدة المانعة سنة ١٨٩٢م، فقد قدم الباحث لهذه المعاهدة بدراسة الصراع والتنافس الدولي في المنطقة، فدرس التنافس العثماني - البريطاني، حيث رأت بريطانيا في استيلاء الدولة العثمانية على الأحساء خطراً يهدد نفوذها في ساحل عمان والبحرين وقطر وكذلك التدخل الفارسي في موانى الساحل الشرقي للخليج، إزاء هذه المنافسة التي ظهرت أمام بريطانيا، فإنها وافقت على نصوص المعاهدة التي كتبها المقيم السياسي في الخليج، ووقع عليها الشيوخ في ١٨٩٢/٣/٥م، ووضعت المشيخات تحت الحماية البريطانية، التي تمنع الشيوخ من التعامل مع أية قوة أجنبية، وأوضح الباحث أن مثل هذه المعاهدات لا شرعية لها في القانون الدولي.

ثم خصص الباحث الفصل السابع للاتفاقيات الاقتصادية، التي عقدت بين بريطانيا والمشيخات في الفترة من ١٩٠٢ - ١٩٧٠م، وحلل الباحث هذه الاتفاقيات بأسلوب علمي ودقة متناهية في التعبير.

في الفصل الثامن درس الأوضاع في الإمارات من الحرب العالمية الثانية، وحتى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٧١م، فأبرز أن الإمارات شهدت في تلك الفترة تغيرات عديدة، مما جعل بريطانيا تغير من سياستها إزاء الإمارات، بل واضطرت بريطانيا أن تعلن على لسان رئيس وزرائها هارولد ويلسون، أنها سوف تسحب قواتها من شرق قناة السويس في مدة أقصاها ١٩٧١م، ثم كان الاتحاد الثنائي بين دبي وأبوظبي، ثم محادثات الإتحاد التساعي، ثم قيام دولة الإمارات العربية المتحدة من اتحاد الإمارات السبع.

والكتاب باختصار شديد يثير اعجاب القاريء المتخصص كما أنه يشحذ ذهن القاريء العادي، لأن الباحث بدا متألقاً في هذا الكتاب، ودقيقاً في كل ما ذكر.